تقديم

يأتي هذا العدد الثاني بعد عدد سابق من دفاتر مجلة إنسانيات تناول مجموعة من الموضوعات المتعلقة بالتحوَلات الاجتماعية و السياسية في الجزائر. و قد تم تضمين هذا العدد الجديد مقالات تتطرق إلى قضايا ترتبط بمسائل الخطاب التاريخي و المدينة و الهوية و اللغة. ومن المؤكد أن هذه القضايا، بما تملكه من دور حاسم في تبلور الممارسات و التمثلات التي تجعل مجتمعا ما يتميز عن غيره من المجتمعات و يتفرد، هي دائما محل معاينة و تفحص من قبل الباحثين و الفاعلين الاجتماعيين. ونصدر هذه الملفات في دفاتر مجلة إنسانيات للتواصل مع القارئ الناطق بلغة الضاد حيث تشتمل على مقالات قد تَم نشرها سابقا باللغة العربية أو تمّت ترجمتها إلى اللغة العربية.

وبناء على أهمية الحقل التاريخي بوصفه تخصّصا ذا مكانة خاصّة في البحث الأكاديمي، يشمل القسم الأول من هذا العدد إسهامات عديدة لمتخصصين في البحث الإسطوريوغرافي. و في هذا الباب تقدم محمد حربي بدراسة حول "الوطنية الشعبوية بمدينة سكيكدة" ومسار الحركة السياسية لما أطلق عليه تسمية الفئات المضطهدة الحضرية منها والريفية بمدينة سكيكدة بالشرق الجزائري في الفترة ما قبل الثورة التحريرية، أي خلال الفترة الممتدة من الثلاثينيات إلى حدود الخمسينيات من القرن الماضي. وقد تطرق المقال بكثير من الدقة إلى الأساليب والطرق التي كانت توظفها التشكيلات السياسية الممثلة للحركة الوطنية في التعبئة السياسية للفئات الشعبية المختلفة على المستوى المحلي وصولا إلى حالات التصدع الداخلي، ثم الانخراط في العمل المسلّح ضد الاحتلال الفرنسي. يواصل محمد غالم، في السياق نفسه، بتناوله للتاريخ المحلي وينتقل بنا من الساحل الشرقي إلى الساحل الغربي، وبالضبط إلى مدينة مستغانم، حيث يبحث، ضمن مساهمته الموسومة "مدينة في أزمة : مستغانم في مواجهة الاحتلال الفرنسي 1830-1833"، في مواقف فئات اجتماعية محلية مثل "الأتراك"، "الكراغلة" و"الحضر" من الاحتلال الفرنسي في الجزائر. و قد ركز صاحب المقال تحليله على الأبعاد السياسية والظروف الاجتماعية المحلية التي فرضت تلك المواقف.

ومن جهته، يتوقف فؤاد صوفي عند مضامين الخطاب التاريخي، و لكن من وجهة نظر مغايرة، ليتطرق في دراسته الموسومة " تاريخ و ذاكرة: الإسطوريوغرافية الاستعمارية" إلى الخطاب التاريخي الاستعماري حول الجزائر أو ما أطلقت عليه المؤرّخة فاني كولونا اسم " العلم الاستعماري". و من خلال فحصه لعدد من الكتابات الأكاديمية لمؤرخين فرنسيين إبّان فترة الاحتلال يحاول الباحث أن يبرز الوظيفة الاجتماعية والأيديولوجية للإسطوريوغرافيا الاستعمارية.

كما يتطرّق حسن رمعون، في مساهمته حول "مسألة التاريخ في النقاش حول العنف في الجزائر" إلى رهانات الخطاب التاريخي في علاقته بخطاب الذاكرة الجماعية عندما يناقش الموضوعات التي ارتبطت بمحاولات تفسير الأزمة التي عرفتها الجزائر في تسعينيات القرن الماضي. ويتعلق الأمر "بالنزعة الوراثية" للعنف أو ما يطلق عليه في مقاله تقاليد ممارسة العنف لدى الفرد الجزائري،

التي تحاول تبرير ذلك بخطاب ذاكراتي يلجأ إلى اختزال ماضي الجزائريين في العنف. فيأخذ هذا الخطاب في اعتباره عدد الحروب التي خاضها الجزائريون ضد أجناس مختلفة من الشمال أو من الشرق، والتي استهدفت استعبادهم واحتلال أرضهم. حاول الباحث في دراسته تفنيد هذا التفسير الاختزالي من خلال مناقشة لأطروحة الإنقسامية في الخطاب التاريخي الاستعماري حول الجزائر، و كذا العوامل الثقافية التي تولّد عنها خطاب العنف في فترة الدولة الوطنية.

أمّا ديدييه راي، فيتناول في مساهمته : "زمن التعليمات أو تناقضات كرة القدم الكولونيالية في الجزائر (1928-1945)"، تاريخ ظهور الفرق الرياضية في الجزائر إبّان الفترة الاستعمارية، مركزا أساسا على فرق الغرب الجزائري. و يقف عند تلك التعليمات التي كانت تصدرها السلطات الاستعمارية لمواجهة تزايد الشعور الوطني التحرري، الذي كانت تفرزه أجواء اللقاءات الكروية بين الفرق التي تجمع لاعبين من الأهالي وفرق الأوروبيين . وقد حاول المؤرخ متابعة تطور مضامين وأهداف ورهانات تلك التعليمات في فترات زمنية مختلفة بين سنوات 1928 و 1945.

و في القسم الثاني من العدد يتعرّض صادق بن قادة إلى تاريخ إنشاء المدينة الجديدة بوهران إبّان الفترة الاستعمارية والسياق الذي أنتج قرار إنشائها، إذ يسهم بدراسة أطلق عليها عنوان "إنشاء المدينة الجديدة، وهران (1845): نموذج عن السياسة الاستعمارية للتجمعات الحضرية"، حيث يرى الباحث أنّ قرار إنشاء المدينة أتى ضمن سياق السياسات الاستعمارية المتعلّقة بإنشاء "القرى الأهلية " التي تعدّ شكلا من أشكال التجميع السكاني، أي تجميع الأهالي في أحياء معلومة داخل المدن من أجل تثبيت مراقبتهم إداريا و أمنيا. ويعود بنا عابد بن جليد، من خلال مساهمته : "أنثروبولوجية المجال المسكون الجديد: رهانات عقارية ومجاليات الطبقات المتوسطة في مدينة وهران وضواحيها" إلى واقع المدينة في جزائر اليوم. و يتناول الباحث واقع التعاونيات العقارية بمنطقة وهران، إذ يسجّل، بناء على دراسة ميدانية في ثلاث بلديات، الفارق الموجود على مستوى الممارسة، بين تعليمات السلطات المركزية من جهة ، واستراتيجيات المجالس المنتخبة على المستوى المحلي من جهة أخرى. يبدو الفارق جليا في نظره بين إرادة مركزية تستهدف التوازن الاجتماعي والإقليمي، وإرادة محلية جعلت من التعاونيات والاحتياطات العقارية وسيلة لإقامة شبكات من العلاقات الاجتماعية.

و ضمن الأفق الموضوعاتي ذاته، تضعنا الفقيدة زوليخة بومعزة أمام واقع مغاير لمدينة جزائرية عريقة و ممارسة عمرانية مختلفة من خلال مساهمتها :" مدينة قسنطينة القديمة و إشكالية التراث المعماري"، حيث تعرضت في تحليلها إلى المأزق الذي وقع فيه الفاعلون المحليون بمن فيهم السلطات الوصية والمتمثل في اختيار الأماكن العتيقة التي تقتضي المحافظة عليها. وفي هذا السياق تتوقف عند عديد الرهانات المحلية المرتبطة بمجالات بعينها مثل "الصخرة" و "السويقة".

وتواصل عمارة بكوش، من خلال مساهمتها : " المساحات الخضراء الحضرية العمومية، بين الممارسة والتصميم"، رصد التغيّرات التي تعرفها المدينة الجزائرية في الراهن و الكيفية التي يتعامل بها أفراد المجتمع مع هذه المساحات. لقد انطلقت الباحثة من تحليل لتاريخ حضور

المساحات الخضراء في الفترة الكولونيالية ودراسة ميدانية لواقعها الراهن لتطرح أسئلة حول موقعها داخل التمثلات والممارسات الاجتماعية اليومية.

وتضاف إلى القسمين السابقين مساهمتان، تتعلق الأولى بالممارسة اليومية للفئة العمرية الصغرى أي الأطفال بين مجالي المدرسة والشارع وتتعلق الثانية بتاريخ أسماء الأشخاص وعلاقة ذلك بتشكيل الهوية وبناء الذاكرة الجماعية في الجزائر. لقد حاولت نورية بن غبريط–رمعون، من خلال مساهمتها : " الطفل، المدرسة و الشارع فضاء للّعب: حالة الجزائر" أن تعالج موضوع اللعب عند الأطفال سواء داخل المؤسسة المدرسية أو خارجها من خلال تقديم حوصلة مركّزة لنتائج تحقيقات ميدانية مختلفة حول موضوع الطفولة والتعليم ما قبل المدرسي.

وفي اتجاه تحليل مستوى مغاير من مستويات الهوية والذاكرة الجماعية، تعالج مساهمة فريد بن رمضان الموسومة " تدمير النسب في الحالة المدنية بالجزائر. دراسة تحليلية" موضوعا لا يزال في بداياته من حيث عدد الدراسات الميدانية في الجزائر بالخصوص، إنّه موضوع أسماء الأشخاص انطلاقا من المعطيات الأونوماستيكية. يتناول الباحث تاريخ بناء أسماء الأعلام في الجزائر و يقف عند ذلك الشرخ الذي أحدثته ممارسة الإدارة الاستعمارية الفرنسية عندما قررت إحداث القطيعة مع الأشكال التقليدية للتسمية سواء كانت عربية أو بربرية وتعويضها بنظام تسمية جديد يقوم على الاسم العائلي بداية من سنة 1882.

نتصور أنّ المساهمات الإحدى عشر التي يتناولها هذا العدد تطرح القضايا بشكل منفتح ينطلق من نسبية المقاربات المنهجية للموضوعات في العلوم الاجتماعية، كما يفتح إمكانية للنقاش بين الباحثين في المشرق والمغرب العربيين حول ميادين واهتمامات البحث وطرق التعامل المعرفي مع موضوعات التاريخ والذاكرة و الهوية من جهة، وإلى موضوعات متعلّقة برهانات المدينة اليوم وما يرتبط بها من مواقف وممارسات اجتماعية تحيل إلى المعيش اليومي للفاعلين الاجتماعيين من جهة ثانية..

بقلم: محمد داود و جيلالي المستاري